العدد 12 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية كانون 2 2026
No. 12 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences January 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

التمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة في التراث الاسلامي دراسة مقارنة مع الفكر الغربي

ا.د علي رضا طبيبي
الباحث عامر محمود خلف

ملخص

يتناول هذا البحث إشكالية التمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة بوصفها من القضايا المعرفية التي أثّرت في الوعي الحضاري العربي والإسلامي المعاصر نتيجة انتقال المصطلحات الغربية دون تحرير اصطلاحي دقيق وقد سعى البحث إلى تحليل المفهومين في الفكر الغربي ثم تأصيلهما في التراث الإسلامي وصولًا إلى دراسة مقارنة نقدية بين التصورين. خصص الفصل الأول للإطار المفاهيمي والمنهجي حيث تتبّع تطور مفهوم الثقافة في الفكر الغربي من جذوره اللغوية إلى صياغته الأنثروبولوجية الحديثة مع بيان إشكالية ترجمته إلى العربية وما ترتب عليها من خلط مفاهيمي بين الثقافة والحضارة. كما انتهى الفصل إلى ضبط إجرائي يميّز بين الثقافة بوصفها منظومة قيم ومعانٍ، والحضارة باعتبارها تجسيدًا ماديًا لتلك القيم. أما الفصل الثاني فقد عالج الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي مبرزًا أن غياب المصطلح لا يعني غياب المفهوم حيث تشكّلت الثقافة الإسلامية من الوحي وتميّزت بخصائص الربانية والشمول والتوازن والإنسانية. كما تناول مفهوم الحضارة من خلال مبدأ الاستخلاف والعمران عند ابن خلدون، مبيّنًا التكامل الجدلي بين القيم والعمران في التجربة الإسلامية. كما خصّص البحث الفصل الثالث لدراسة التمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة في الفكر الغربي الحديث من خلال تحليل الاتجاهات الفكرية الرئيسة التي تناولت العلاقة بينهما ولا سيما اتجاه الترادف واتجاه الفصل الحاد واتجاه التكامل النسبي، وناقش الفصل الأسس الفلسفية التي انبثقت عنها هذه الاتجاهات مثل المرجعية الإنسانية والعقلانية والعلمانية مع إبراز البعد الاستعماري الكامن في الخطاب الحضاري الغربي، كما قدّم الفصل دراسة مقارنة نقدية بين التصورين الغربي والإسلامي، كاشفًا عن أوجه الاتفاق والاختلاف الجوهرية بينهما، ومؤكدًا أن إسقاط المفاهيم الغربية على السياق الإسلامي دون تمحيص يؤدي إلى تشويه الوعي الحضاري، الأمر الذي يستدعي إعادة بناء المفاهيم الحضارية على أسس إسلامية أصيلة وواعية.

الكلمات المفتاحية: (الثقافة، الحضارة، التمايز المفاهيمي، الفكر الغربي، التصور الإسلامي)

Distinction Between the Concepts of Culture and Civilization in Islamic Heritage: A Comparative Study with Western Thought

Prof. Dr. Ali Reza Tabibi
Researcher Amer Mahmoud Khalaf

Abstract

This study examines the conceptual distinction between culture and civilization as one of the major intellectual challenges facing contemporary Arab and Islamic thought, particularly in light of the transfer of modern Western concepts without precise terminological and methodological clarification. The research aims to analyze the historical and philosophical development of these two concepts within Western thought, to explore their foundations in Islamic intellectual heritage, and to conduct a critical comparative study between the two perspectives. The first chapter establishes the conceptual and methodological framework by tracing the linguistic and semantic origins of the concept of culture in Western thought and its evolution into an anthropological and sociological concept. It also highlights the problem of translating the term *culture* into Arabic and the resulting conceptual confusion between culture and civilization. The chapter concludes with an operational definition that distinguishes culture as a system of values, meanings, and worldviews, and civilization as the material and institutional manifestation of those values in historical reality.The second chapter addresses culture and civilization within the

Islamic perspective, emphasizing that although the modern term "culture" does not explicitly appear in early Islamic sources, its conceptual foundations are deeply rooted in revelation. Islamic culture is characterized by divine origin, comprehensiveness, balance, human dignity, and moral commitment. Civilization, in turn, is grounded in the principle of stewardship (*khilāfah*) and the concept of human civilization (*ʿumrān*), reflecting a balanced relationship between moral values and material development. The third chapter analyzes the distinction between culture and civilization in modern Western thought by examining the main intellectual trends, including synonymity, strict separation, and relative integration. It discusses the philosophical foundations of these trends, particularly humanism and secularism, and reveals the ideological and colonial dimensions embedded in the Western civilizational discourse. Through a comparative analysis, the study highlights the fundamental differences between the Western and Islamic perspectives in terms of reference, values, and the ultimate purpose of civilization.The study concludes that the Islamic model offers an integrated and value-based framework that harmonizes culture and civilization through divine guidance, and emphasizes the necessity of critically engaging with imported concepts to preserve the authenticity of Islamic civilizational thought while addressing contemporary challenges.

Keywords: (Culture, Civilization, Conceptual Distinction, Western Thought, Islamic Perspective)

مقدمة

تُعدّ إشكالية التمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة من القضايا المعرفية المركزية التي شغلت الفكر الإنساني عمومًا، والفكر العربي والإسلامي خصوصًا، لما لهذين المفهومين من أثر بالغ في تشكيل الوعي بالذات الحضارية وفي توجيه مسارات النهوض أو التراجع في المجتمعات. وقد ازدادت حدة هذه الإشكالية مع اتساع حركة الترجمة والاحتكاك بالفكر الغربي الحديث منذ القرن التاسع عشر، حيث انتقلت المصطلحات والمفاهيم إلى البيئة العربية والإسلامية محمّلة بخلفياتها الفلسفية والتاريخية، دون أن يصاحب ذلك في كثير من الأحيان تحرير اصطلاحي ومنهجي دقيق، مما أفضى إلى خلط مفاهيمي انعكس سلبًا على فهم الواقع الحضاري وتشخيص أزماته.

إنّ الثقافة والحضارة، على الرغم من التداخل الظاهري بينهما، لا تمثلان مفهومين مترادفين ولا متقابلين على نحوٍ حاد، بل يعكسان مستويين متكاملين في بناء المجتمعات الإنسانية؛ فالثقافة تعبّر عن منظومة القيم والمعاني والتصورات التي تشكّل رؤية الإنسان للعالم وتوجّه سلوكه، في حين تمثّل الحضارة التجسيد المادي والمؤسسي لهذه المنظومة في الواقع التاريخي. غير أنّ هذا الفهم التكاملي لم يحظَ دائمًا بالوضوح في الدراسات الحديثة، سواء في الفكر الغربي أو في الفكر العربي المتأثر به، الأمر الذي استدعى إعادة النظر في الأسس المعرفية التي يقوم عليها تعريف كلٍّ من المفهومين.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة التمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة دراسة تحليلية نقدية، من خلال تتبّع تطورهما في الفكر الغربي الحديث، وبيان الإشكالات الفلسفية والمنهجية التي أحاطت بهما، ثم العودة إلى التراث الإسلامي لاستخلاص التصور الإسلامي الأصيل لهذين المفهومين، القائم على مرجعية الوحي ومبدأ الاستخلاف والتوازن بين القيم والعمران. كما يهدف البحث إلى إبراز الفروق الجوهرية بين التصورين الإسلامي والغربي، والكشف عن مخاطر إسقاط المفاهيم الغربية على الواقع الإسلامي دون وعي بخلفياتها المعرفية.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسهم في إعادة بناء الوعي الحضاري الإسلامي على أسس مفاهيمية واضحة، ويفتح أفقًا نقديًا للتعامل مع المفاهيم الوافدة، بما يحقق التفاعل الإيجابي مع المنجز الإنساني المعاصر دون التفريط بالخصوصية القيمية والحضارية للإسلام. ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، والمنهج المقارن، من خلال تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول تناولت الإطار المفاهيمي، والتأصيل الإسلامي، والدراسة المقارنة بين التصورين الإسلامي والغربي، وصولًا إلى نتائج تسهم في ترشيد الخطاب الحضاري المعاصر.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي والمنهجي للتمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة

يُعدّ الخلط بين مفهومي الثقافة والحضارة من أبرز الإشكالات المعرفية التي رافقت انتقال المصطلحات الحديثة إلى الفكر العربي والإسلامي، لا سيما منذ اتساع حركة الترجمة والاحتكاك بالفكر الغربي في القرن التاسع عشر، وقد أسهم هذا الخلط في اضطراب الرؤية التحليلية للواقع الحضاري الإسلامي سواء في تشخيص أزماته أو في تحديد آفاق نهوضه، ومن تلك يسعى هذا الفصل إلى تحرير المفهومين تحريرًا تاريخيًا واصطلاحيًا وبيان تطور دلالتهما في الفكر الغربي تمهيدًا للمقارنة مع التصور الإسلامي في الفصول اللاحقة(١).

المبحث الأول: تطور مفهوم الثقافة في الفكر الغربي

أولًا: الجذور اللغوية والدلالية لمفهوم الثقافة

يرجع الأصل اللغوي لكلمة *Culture* في اللغات الأوروبية إلى الفعل اللاتيني *Colere*، الذي يدل على الحرث والزراعة والعناية، ثم تطوّر استعماله مجازيًا ليشير إلى تهذيب العقل وصقل الملكات الإنسانية وقد استُخدم هذا المعنى المجازي منذ العصور الكلاسيكية حيث تحدث شيشرون عن *Cultura Animi*، أي «زراعة العقل»، في سياق الحديث عن التربية الفكرية والأخلاقية غير أن هذا الاستعمال ظلّ محصورًا في الإطار الفردي والنخبوي ولم يتحول إلى مفهوم اجتماعي شامل إلا في العصر الحديث حين ارتبط بتحولات فلسفية واجتماعية كبرى أبرزها عصر التنوير وبروز الدولة الحديثة (٢).

ثانيًا: الثقافة بوصفها مفهومًا أنثروبولوجيًا

يُعدّ إدوارد تايلور (Edward Tylor) من أوائل من صاغ تعريفًا شاملًا للثقافة في الفكر الغربي الحديث حيث عرّفها بأنها (ذلك الكلّ المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل ما يكتسبه الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع) (٣) ، وقد شكّل ذلك التعريف منعطفًا مهمًا إذ نقل مفهوم الثقافة من دائرة التهذيب الفردي إلى دائرة البنية الاجتماعية الكلية، إلا أن ذلك التعريف على شموليته، لم يَسلَم من النقد إذ أُخذ عليه أنه يذيب الفوارق القيمية بين المجتمعات ويتعامل مع الثقافة بوصفها نتاجًا بشريًا صرفًا منفصلًا عن أي مرجعية متعالية الأمر الذي أسهم في ترسيخ النزعة النسبية في الفكر الغربي الحديث(٢).

ثالثًا: التحولات النقدية لمفهوم الثقافة

---

١) عبد الله العروي، **مفهوم الثقافة**، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٦، ص ٧–١٠.

2) Raymond Williams, *Keywords*, Oxford University Press, 1983, p. 87.

3) Edward Tylor, *Primitive Culture*, London, 1871, p.

١) عبد الوهاب المسيري، **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**، دار الشروق، ٢٠٠٢، ج١، ص ١١٢.

2) Pierre Bourdieu, *Distinction*, Harvard University Press, 1984, p. 2–5.

٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (ثقف).

٤) سلامة موسى، **الثقافة والحضارة**، دار الهلال، ١٩٥٦، ص ١٥.

٥) طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦، ص ٤٥.

شهد مفهوم الثقافة تحولات عميقة في القرن العشرين خاصة مع بروز المدارس الوظيفية والنقدية، فقد نظر مالينوفسكي إلى الثقافة بوصفها أداة لإشباع الحاجات الإنسانية في حين ربط بيير بورديو الثقافة بالبنى الرمزية وإعادة إنتاج السلطة الاجتماعية . أما مدرسة فرانكفورت، فقد تعاملت مع الثقافة بوصفها وسيلة للهيمنة الأيديولوجية، وتكشف هذه التحولات عن أن مفهوم الثقافة في الفكر الغربي ليس مفهومًا ثابتًا، بل هو مفهوم تاريخي متغيّر ارتبط دومًا بالسياقات الفلسفية والاجتماعية التي نشأ فيها[٣].

المبحث الثاني: إشكالية ترجمة مفهوم الثقافة إلى العربية

أولًا: إشكالية النقل الاصطلاحي

عند انتقال مصطلح *Culture* إلى اللغة العربية تُرجم في الغالب إلى (الثقافة)، وهي كلمة ذات جذور لغوية عربية تدل على الحذق والمهارة والتقويم، غير أن هذا النقل لم يكن خاليًا من الإشكال إذ أُسقطت الدلالات الغربية للمصطلح على الفظ العربي الذي يحمل حمولة دلالية مختلفة مما أدّى إلى خلط مفاهيمي واضح[٤].

ثانيًا: الثقافة والحضارة في الفكر العربي الحديث

حاول عدد من المفكرين العرب معالجة ذلك الخلط إلا أن محاولاتهم اتسمت بالتباين، فذهب بعضهم مثل سلامة موسى إلى اعتبار الثقافة والحضارة مترادفتين، في حين ميّز آخرون بينهما فجعلوا الثقافة خاصة بالجانب المعنوي، والحضارة بالجانب المادي، غير أن هذا التمييز ظلّ في كثير من الأحيان متأثرًا بالإطار الغربي ولم ينبثق من مرجعية إسلامية مستقلة.

ثالثًا: أثر الترجمة في تشويش الوعي الحضاري

أدّى اضطراب المصطلح إلى اضطراب في الوعي الحضاري العربي حيث غابت الحدود الفاصلة بين القيم والوسائل، وبين المرجعية والتطبيق مما ساهم في تبنّي نماذج حضارية وافدة دون وعي بخلفياتها الفلسفية.

المبحث الثالث: التمايز المفاهيمي بين الثقافة والحضارة

أولًا: إشكالية التداخل بين المفهومين

يرجع التداخل بين مفهومي الثقافة والحضارة إلى اختلاف المناهج المعتمدة في تعريفهما، فبينما ينطلق بعض الباحثين من منظور وصفي شامل، ينطلق آخرون من منظور تحليلي تفريقي، مما أدى إلى تعدد التعريفات وتباين النتائج.

ثانيًا: اتجاهات التمييز بين الثقافة والحضارة

يمكن إجمال الاتجاهات الرئيسة في ثلاث مقاربات:

١. اتجاه يرى الترادف بين المفهومين.

٢. اتجاه يفصل بين الثقافة (المعنوي) والحضارة (المادي).

٣. اتجاه تكاملي يرى الثقافة إطارًا قيميًا والحضارة تجليًا عمليًا لهذا الإطار[٥].

ويميل هذا البحث إلى المقاربة الثالثة، لما تتمتع به من قدرة تفسيرية أشمل.

ثالثًا: ضبط اصطلاحي إجرائي

بناءً على ما سبق يعتمد هذا البحث على التعريفين الإجرائيين الآتيين:

١- **الثقافة** :منظومة القيم والمعاني والتصورات التي تشكّل رؤية الإنسان للعالم وتوجّه سلوكه.

٢- **الحضارة** :التجسيد المادي والمؤسسي لتلك المنظومة القيمية في الواقع التاريخي.

خلاصة الفصل الأول

بيّن هذا الفصل أن مفهومي الثقافة والحضارة في الفكر الغربي قد تشكّلا ضمن سياقات تاريخية وفلسفية خاصة وأن نقلهما إلى الفكر العربي والإسلامي تمّ في كثير من الأحيان دون تحرير اصطلاحي دقيق مما

---

١) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، ط٧، ١٩٨٦، ص ٢٣–٢٧.

أفضى إلى خلط مفاهيمي أثّر في الوعي الحضاري، وقد مهّد هذا الفصل الأساس النظري اللازم للانتقال إلى دراسة المفهومين في التراث الإسلامي.

الفصل الثاني

الثقافة والحضارة في التراث الإسلامي: التأصيل المفاهيمي والبعد الحضاري

إذا كان الفكر الغربي قد عالج مفهومي الثقافة والحضارة ضمن سياقات فلسفية وتاريخية مخصوصة فإن التراث الإسلامي قد قدّم تصورًا مغايرًا لهذين المفهومين منطلقًا من مرجعية الوحي ومتكئًا على رؤية كونية متكاملة للإنسان والعالم والحياة، ولا يَظهر هذا التصور في صورة مصطلحات مجردة بقدر ما يتجلى في بنية فكرية وقيمية شاملة انعكست في التجربة الحضارية الإسلامية عبر التاريخ ويسعى هذا الفصل إلى بيان معالم هذا التصور وتحليل العلاقة بين الثقافة والحضارة في الفكر الإسلامي مع إبراز خصوصيته المنهجية والمعرفية[٦].

المبحث الأول: الثقافة في التصور الإسلامي

أولًا: غياب المصطلح وحضور المفهوم

لا نجد في المصادر الإسلامية الأولى استعمالًا مباشرًا لمصطلح (الثقافة) بالمعنى الاصطلاحي الحديث غير أن غياب المصطلح لا يعني غياب المفهوم، فقد عبّر القرآن الكريم والسنة النبوية عن منظومة قيمية ومعرفية متكاملة شكّلت الأساس الثقافي للأمة الإسلامية، ويتجلّى ذلك في مفاهيم مركزية مثل، العلم والحكمة والتزكية والتربية والأخلاق[٧].

حيث تتميّز الثقافة الإسلامية بعدة خصائص تجعلها مختلفة عن غيرها من الثقافات، ومن أهمها ما يأتي:

١- ربانية المصدر:-

تنطلق الثقافة الإسلامية من الوحي الإلهي حيث انها مرتبطة بعقيدة التوحيد وتقوم على الإيمان بالله تعالى هو خالق الكون، وهو الذي استخلف الإنسان في الأرض ووجّهه بمنهجه.

٢- التوازن:-

تحقق الثقافة الإسلامية توازنًا بين العقل والوحي وبين حرية الإنسان وإرادة الله تعالى فلا تُهمل العقل ولا تُقدّمه على الوحي ولا تُنكر مسؤولية الإنسان عن أفعاله.

٣- الإنسانية

تنظر الثقافة الإسلامية إلى الناس جميعًا على أنهم متساوون في الإنسانية ولا تفرّق بينهم بسبب العرق أو اللون أو اللغة ويكون التفاضل بينهم بالأخلاق والتقوى.

٤- التوحيد

تنشأ الثقافة الإسلامية على عبادة الله وحده دون شريك وان الإيمان بالله هو مصدر الحياة ومنظّم شؤونها.

٥- الشمولية

تشمل الثقافة الإسلامية مختلف جوانب حياة الإنسان الفكرية والاجتماعية والأخلاقية وتكوّن منظومة متكاملة مترابطة.

٦- الإيجابية

تدعو الثقافة الإسلامية إلى فعل الخير وترك الشر وتسهم في إصلاح الفرد والمجتمع وبناء علاقات قائمة على القيم.

٧- الثبات والمرونة

تختص الثقافة الإسلامية بثبات مبادئها الأساسية مع القدرة على التكيّف في التطبيقات بما يناسب الزمان والمكان.

لثقافة الإسلامية

[١] محمد عمارة، الإسلام والحضارة، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٨، ص ١١.

[٢] يوسف القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية، مكتبة وهبة، ١٩٩٨، ص ٢١–٢٥.

تنطلق الثقافة في التصور الإسلامي من مرجعية الوحي الذي يحدّد للإنسان غايته في الوجود ويضبط علاقته بالله والكون والإنسان، ومن ثمّ فإن الثقافة الإسلامية ليست نتاجًا اجتماعيًا خالصًا بل هي بناء قيمي موجّه يجمع بين الثابت والمتغير وبين النص والاجتهاد[٨].

وتتميّز هذه الثقافة بخصائص عدّة، من أبرزها:
١- الشمول والتكامل.
٢- التوازن بين العقل والوحي.
٣- الارتباط الوثيق بالأخلاق.
٤- مركزية الإنسان بوصفه مستخلفًا لا مالكًا.

ثالثًا: الثقافة وبناء الإنسان

تركّز الثقافة الإسلامية على بناء الإنسان بناءً متكاملًا، يجمع بين تزكية النفس، وتنمية العقل، وتقويم السلوك. ويُعدّ هذا البعد التربوي من أهم الفوارق بين الثقافة الإسلامية وبعض التصورات الغربية التي تنزع إلى الحياد القيمي أو النسبية الأخلاقية[٩].

المبحث الثاني: الحضارة في الفكر الإسلامي

أولًا: مفهوم الحضارة والعمران

يُعدّ عبد الرحمن بن خلدون من أبرز من أسهموا في تأصيل مفهوم الحضارة في الفكر الإسلامي وإن لم يستخدم المصطلح بصيغته الحديثة بل عبّر عنه بمفهوم (العمران البشري)، وقد ربط ابن خلدون بين قيام العمران وتحقيق الاجتماع الإنساني مؤكدًا أن الحضارة نتاج تفاعل بين الإنسان والبيئة والقيم المنظمة لهذا التفاعل[١٠].

ثانيًا: الاستخلاف أساس البناء الحضاري

يرتكز التصور الإسلامي للحضارة على مبدأ الاستخلاف كما ورد في قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة٣٠)، ويعني ذلك أن الإنسان مكلّف بعمارة الأرض وفق منهج الله لا وفق أهوائه المطلقة، ومن هذا فإن التقدم المادي في الحضارة الإسلامية لم يكن منفصلًا عن القيم الأخلاقية والضوابط الشرعية[١١].

ثالثًا: التوازن بين المادي والمعنوي

تميّزت الحضارة الإسلامية بقدرتها على تحقيق قدر معتبر من التوازن بين الجوانب المادية (العلم والعمران والاقتصاد)، والجوانب المعنوية (الأخلاق والقيم والعقيدة)، وقد أسهم هذا التوازن في استمرار الحضارة الإسلامية قرونًا طويلة بخلاف نماذج حضارية أخرى غلب عليها أحد البعدين على حساب الآخر[١٢].

المبحث الثالث: العلاقة بين الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي

أولًا: العلاقة الجدلية بين القيم والعمران

عند الحديث عن الثقافة والحضارة لا بد من ذكر الثقافة والحضارة الإسلامية مع بعضهم البعض لما يتميزان به من خصائص فريدة فقد أنتجت الثقافة الإسلامية تراثًا ضخمًا في جميع مجالات الحياة، أما الحضارة الإسلامية فقد جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بمبادئ إصلاحية نظمت العالم ووجهته نحو الطريق الصحيح ففي التصور الإسلامي لا تُفهم الثقافة بمعزل عن الحضارة ولا تُفهم الثقافة بوصفها مجرد منظومة نظرية منفصلة عن الواقع، فالثقافة تمثل الإطار القيمي والمعرفي في حين تمثل

---

٣) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠، ص ٧٣.
١) عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الشروق، ٢٠٠٣، ص ٥٤.
١) ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص ٤١–٤٥.
١) مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، ط٩، ١٩٨٨، ص ٨٣.
١) علي عزت بيغوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، دار الفكر، ١٩٩٤، ص ١١٢.

الحضارة التطبيق العملي لهذا الإطار في التاريخ، ومن ثمّ فإن أي خلل في المنظومة الثقافية ينعكس بالضرورة على البنية الحضارية[١٣].

ثانياً: نماذج تاريخية من الحضارة الإسلامية : تجلّت هذه العلاقة الجدلية في التجربة الإسلامية عبر نماذج عديدة من أبرزها:

١- ازدهار العلوم الشرعية والطبيعية في ظل منظومة قيمية واحدة.
٢- قيام مؤسسات علمية (كالمدارس والمستشفيات) بدوافع دينية وإنسانية.
٣- ضبط السلطة السياسية بقيم الشورى والعدل، نظريًا وتاريخيًا.

ثالثًا: نقد الفصل بين الثقافة والحضارة

يرفض التصور الإسلامي الفصل الحاد بين الثقافة والحضارة لأن هذا الفصل يؤدي إلى إفراغ العمران من مضمونه القيمي أو إلى تحويل القيم إلى شعارات مجردة، ومن هنا فإن تراجع الحضارة الإسلامية في بعض مراحلها لا يُعزى إلى قصور في القيم ذاتها بل إلى ضعف في تفعيلها في الواقع التاريخي[١٤].

خلاصة الفصل الثاني

لخص هذا الفصل إلى أن التراث الإسلامي قد قدّم تصورًا متكاملًا للثقافة والحضارة يقوم على مرجعية الوحي ومبدأ الاستخلاف والتوازن بين القيم والعمران، كما بيّن أن العلاقة بين الثقافة والحضارة في الفكر الإسلامي علاقة تكاملية وجدلية ولا علاقة فصل أو ترادف بينهما وهو ما يمنح هذا التصور خصوصيته مقارنة بالفكر الغربي ويمهّد للدراسة المقارنة في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

التمايز بين مفهومي الثقافة والحضارة في الفكر الغربي

دراسة تحليلية نقدية مقارنة بالتصور الإسلامي

يُعدّ الفكر الغربي الحديث من أكثر البيئات الفكرية التي شهدت جدلًا واسعًا حول مفهومي الثقافة والحضارة سواء من حيث تحديد مدلوليهما أو من حيث طبيعة العلاقة بينهما، وقد ارتبط هذا الجدل بتحولات فلسفية واجتماعية كبرى عرفها الغرب حيث مثل صعود الحداثة وبروز المركزية الأوروبية وتجربة الاستعمار ثم أزمات ما بعد الحداثة ويهدف هذا الفصل إلى تحليل أبرز التصورات الغربية لهذين المفهومين ثم مقارنتهما بالتصور الإسلامي للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف وتحديد الإشكالات المعرفية الناتجة عن إسقاط المفاهيم الغربية على السياق الإسلامي[١٥].

المبحث الأول: مفهوما الثقافة والحضارة في الفكر الغربي الحديث

أولًا: اتجاه الترادف بين الثقافة والحضارة

نشأت نقاشات كثيرة حول مفهومي الثقافة والحضارة والفروق بينهما يعتبر البعض الثقافة مرادفة لحب المعرفة والاطلاع وقد احتاجت ثقافة المجتمعات لأسباب عديدة للبقاء عبر العصور فكان هذا من دوافع نشأة الحضارة، يمكن النظر للعلاقة بين الثقافة والحضارة بمنظور الأصل والفرع، وفي هذا السياق يمكن ذكر الاتجاهات الناتجة عن الدراسات الاجتماعية لمفهومي الحضارة والثقافة حيث ذهب عدد من المفكرين الغربيين خاصة في القرن التاسع عشر إلى اعتبار الثقافة والحضارة مفهومين مترادفين يُعبّران عن درجة التقدم الإنساني في مختلف مجالات الحياة ويظهر هذا الاتجاه بوضوح في الكتابات الوضعية التي ربطت الحضارة بالتقدم العلمي والتقني واعتبرت الثقافة مظهرًا من مظاهره، ويُلاحظ أن هذا الاتجاه تأثر بالنزعة التطورية التي كانت ترى التاريخ الإنساني مسارًا خطيًا واحدًا، تنتهي ذروته بالحضارة الغربية الحديثة وهو ما أفضى إلى نزعة مركزية أوروبية واضحة[١٦].

---

١) حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير، ١٩٨٠، ج١، ص ٦٧.
١) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، ١٩٨٦، ص ٩١.
١) عبد الله العروي، مفهوم الحضارة، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢، ص ٩–١٢.
٢) Arnold Toynbee, *A Study of History*, Oxford University Press, 1946, p. 44.

ثانيًا: اتجاه الفصل بين الثقافة والحضارة

نشأت دراسات عديده حول مفهومي الثقافة والحضارة والفروق بينهما يرى البعض الثقافة مرادفة لحب المعرفة والاطلاع وقد تحتاج ثقافة المجتمعات للعديد من العوامل للبقاء عبر القرون فكان هذا من دوافع نشأة الحضارة، ويمكن النظر للعلاقة بين الحضارة والثقافة بمنظور الأصل والفرع وفي تلك السياق يمكن ذكر الاتجاهات الناتجة عن الدراسات الاجتماعية لمفهومي الحضارة والثقافة في مقابل اتجاه الترادف برز اتجاه آخر يميّز بين الثقافة والحضارة تمييزًا حادًا ويجعل لكل منهما مجالًا مستقلًا، ويُعدّ أوزوالد شبنغلر (Oswald Spengler)من أبرز ممثلي هذا الاتجاه إذ اعتبر الثقافة كيانًا حيًا مرتبطًا بالروح والقيم في حين رأى الحضارة مرحلة أفول وانحطاط تتحول فيها القيم إلى تقنيات جامدة ويكشف هذا التصور عن نظرة تشاؤمية للتقدم المادي، كما يعكس أزمة الإنسان الغربي مع الحداثة الصناعية[١٧].

ثالثًا: اتجاه التكامل النسبي

سعى اتجاه ثالث إلى تجاوز الثنائية الحادة بين الثقافة والحضارة فرأى أن العلاقة بينهما علاقة تفاعل وتأثير متبادل وإن مع بقاء التمييز الوظيفي بين المجالين، ويمثل هذا الاتجاه عدد من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا المعاصرين الذين نظروا إلى الثقافة بوصفها الإطار الرمزي وإلى الحضارة بوصفها البنية المادية والمؤسسية، غير أن هذا الاتجاه على توازنه النسبي ظلّ محكومًا بمرجعية إنسانية وضعية لا تعترف بمصدر متعالٍ للقيم[١٨].

المبحث الثاني: الأسس الفلسفية للتصور الغربي

أولًا: المرجعية الإنسانية والعقلانية

يقوم التصور الغربي للثقافة والحضارة على مرجعية إنسانية تجعل الإنسان مصدر القيم ومعيار الحقيقة وقد أسهم هذا الأساس الفلسفي في تحرير الإنسان من هيمنة الكنيسة لكنه في الوقت نفسه أفضى إلى نسبية معرفية وأخلاقية واضحة[١٩].

ثانيًا: أثر العلمانية في تشكيل المفهومين

أدّت العلمانية دورًا محوريًا في فصل الثقافة والحضارة عن أي بعد ديني أو غيبي فغدت الحضارة مرادفة للتقدم المادي وغدت الثقافة تعبيرًا عن أنماط العيش والتفكير دون التزام أخلاقي ثابت، وقد انعكس هذا الفصل على طبيعة الإنتاج الحضاري الغربي الذي حقق إنجازات مادية كبرى لكنه واجه أزمات إنسانية وأخلاقية عميقة[٢٠].

ثالثًا: البعد الاستعماري للمفهوم الحضاري

ارتبط مفهوم الحضارة في الفكر الغربي الحديث بالمشروع الاستعماري حيث استُخدم لتبرير الهيمنة على الشعوب الأخرى بدعوى (نقل الحضارة)، وقد كشف عدد من المفكرين المعاصرين الطابع الأيديولوجي لهذا الخطاب، الذي أخفى خلفه مصالح اقتصادية وسياسية[٢١].

المبحث الثالث: الدراسة المقارنة بين التصورين الإسلامي والغربي

أولًا: أوجه الاتفاق

يمكن رصد بعض نقاط الالتقاء بين التصورين من أبرزها:

١- الاعتراف بأهمية القيم في توجيه السلوك الإنساني.

٢- الإقرار بدور الإنسان في بناء العمران.

٣- اعتبار الحضارة نتاجًا تاريخيًا تراكميًا.

---

1) Oswald Spengler, *The Decline of the West*, Vintage Books, 2006, p. 21–30.

2) Clifford Geertz, *The Interpretation of Cultures*, Basic Books, 1973, p. 89.

٣) طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، ص ٤١.

٤) عبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الشروق، ٢٠٠٢، ص ٧٧.

1)dward Said, *Culture and Imperialism*, Vintage Books, 1993, p. 12–18.

غير أن هذه النقاط تظل عامة ولا تُلغي الفوارق العميقة بين المرجعيتين.

ثانيا: أوجه الاختلاف الجوهرية

تتجلى الاختلافات الأساسية في:

١- المرجعية :الوحي في التصور الإسلامي والإنسان في التصور الغربي.

٢- طبيعة القيم: قيم ثابتة منضبطة مقابل قيم نسبية متغيرة.

٣- غاية الحضارة :عمارة الأرض وفق منهج الله مقابل تعظيم السيطرة والمنفعة[٢٢].

ثالثًا: إشكالية إسقاط المفاهيم الغربية

يُعدّ إسقاط مفهومي الثقافة والحضارة بصيغتهما الغربية على الواقع الإسلامي من أبرز الإشكالات المعاصرة إذ يؤدي إلى تشويه التصور الإسلامي وإلى تبنّي نماذج حضارية لا تنسجم مع مرجعيته القيمية ومن هنا يؤكد هذا البحث ضرورة التعامل النقدي مع المفاهيم الوافدة لا رفضها مطلقًا ولا قبولها دون تمحيص[٢٣].

خلاصة الفصل الثالث

بيّن هذا الفصل أن مفهومي الثقافة والحضارة في الفكر الغربي قد تشكّلا في إطار فلسفي إنساني علماني انعكس على طبيعة العلاقة بين القيم والعمران كما أظهر أن التصور الإسلامي بمرجعية الوحيية يقدّم نموذجًا مغايرًا يقوم على التكامل بين الثقافة والحضارة وتُبرز هذه المقارنة الحاجة الملحّة إلى إعادة بناء المفاهيم الحضارية في الفكر الإسلامي المعاصر على أسس أصيلة وواعية.

المراجع

١- القران الكريم.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد .المقدمة تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.

٣. بن نبي، مالك .مشكلة الثقافة .دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢م.

٤. عمارة، محمد .الإسلام والتحدي الحضاري .القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤م.

٥. طه عبد الرحمن .سؤال الأخلاق .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.

٦. العروي، عبد الله .مفهوم الثقافة .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.

٧. العروي، عبد الله .مفهوم الحضارة .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م.

8. Tylor, Edward B. Primitive Culture. New York: Harper & Brothers, 1871.

9. Spengler, Oswald. The Decline of the West. Trans. Charles Francis Atkinson. New York: Knopf, 1926.

10. Malinowski, Bronislaw. A Scientific Theory of Culture and Other Essays. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1944.

11. Bourdieu, Pierre. Outline of a Theory of Practice. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

١) مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة، دار الفكر، ١٩٨١، ص ٥٦

١) محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، دار الشروق، ١٩٩٣، ص ١٠١.